الفصل الرابع

المسكوت عنه في الجامعات المصرية

◆◆◆

obeikan.com

obeikan.com

1 انتهى كلام الباحث

جاءنى أحد المعيدين الذين يعملون بإحدى الجامعات الإقليمية وقد اكتسى وجهه بموجة عارمة من الغضب والحيرة والممزوجة بالأسى. ولما حاولت أن أهدئ من روعته وحيرته صاح محتجاً: أرجوك أن تسمعينى يا دكتورة أولا ثم تقولين ما تشائين من كلمات المجاملة والتهدئة، أنا قررت أن أترك البحث العلمى رغم أننى أوشكت على الانتهاء من رسالة الماجستير وقد أتيت إليك توا من مناقشة إحدى رسائل الماجستير بكليتى وقد منحت اللجنة لصاحبها الدرجة العلمية بتقدير ممتاز بعد أن أكد عضو اليمين أن جزءاً كبيراً من الرسالة منقول، ولم يشر الباحث إلى المراجع مما يعد سرقة علمية، كما أن الباحث غير مؤهل أصلا لمعالجة هذا الموضوع. وأن منطلقاته خطأ مما جعل نتائجه غير علمية، وأكد عضو اليسار صحة ما قاله عضو اليمين. وأضاف إليه تصحيحاً لما ذكره الباحث عن الفلسطينيين من أنهم إرهابيون كما أوضح بالتفصيل الأخطاء الفاضحة فى إسناد المراجع الأجنبية وكانت المفاجأة بعد كل هذا هو منح الطالب ممتاز. هل تطلبين منى بعد ذلك أن أثق فى هؤلاء الأساتذة، وقد سبق أن كتبت فى الصحف وأبلغنا المسئولين فى الجامعة ولم يستجب لنا أحد؟ كيف يستعيد الأساتذة مصداقيتهم وكيف نواصل نحن صغار الباحثين حياتنا العلمية، وقد اهتزت كل النماذج الأكاديمية واكتسحت المجاملات والشللية فى طريقها جميع القيم الجامعية وأخلاقيات البحث العلمى. (انتهى كلام الباحث).

ورغم علمي بأن هذا يحدث يومياً فى كثير من الجامعات الإقليمية وغير الإقليمية غير أننى أصبت بشيء يشبه الدوار ولم أستطع أن أرد على الباحث البائس وسرعان ما أفقت إلى نفسى وقررت أن أشرك كل المهتمين بالتعليم الجامعى وأصحاب الضمائر.

هؤلاء الذين يؤلمهم كثيراً ما آلت إليه الأحوال داخل جامعاتنا صرخة أرجو أن تجد من يحولها إلى فعل جرىء لتغيير الأحوال والله من وراء القصد.

جريدة الأهرام – ٢/ ١١/ ١٩٩٧

obeikan.com

2 تساؤلات حائرة

بعد أن أصبحت الجامعات الخاصة أمراً واقعاً علينا أن نتأمل ممارساتها التعليمية والبحثية والاجتماعية بروح النقد الهادف إلى إبراز إيجابياتها ونقد سلبياتها سعيا لتصحيح مساراتها وتفعيل دورها العلمى والمجتمعى.

وفى هذا الإطار نطرح التساؤلات التالية:

- هل الجامعات الخاصة مؤسسات ربحية أم خدمية؟ بمعنى هل تستهدف تحقيق أرباح تضاف إلى الأرصدة الشخصية لأصحابها أم أنها تنفق هذه الأرباح على تطوير العملية التعليمية والبحثية مثل التوسع فى المعامل والمكتبات وإيفاد أعضاء هيئة التدريس للخارج والتبرع للمشروعات القومية والتقليل من الإنفاق على الإعلانات والدعاية.

- هل تقدم هذه الجامعات نظما دراسية ومجالات بحثية جديدة لا تتوافر فى الجامعات الحكومية، أم أنها تكرر بالضبط المقررات التى تنص عليها اللوائح الدراسية فى الجامعات الحكومية؟

- هل يجرى متابعة الأوضاع المالية لهذه الجامعات وهل تخضع فعلاً للجهاز المركزى للمحاسبات وللضرائب أم أن أصحابها يجيدون فنون التهرب الضريبى والالتفاف حول المساءلة المحاسبية؟

- هل الجامعات الخاصة خيار قابل للاستمرار والنمو والتطور فى ظل أوضاعها

الراهنة مثل اعتمادها الكامل على الكوادر العلمية الذين أعدتهم الجامعات الحكومية وتحتاج إلى عطائهم، وهل الأفضل دعم الجامعات الحكومية القائمة والتى تواصل دورها فى ظل ضآلة الإمكانات وكثافة الأعداد الطلابية وهروب القوى الفاعلة من أعضاء هيئة التدريس لتحسين أوضاعهم الحياتية أم أن الأفضل فتح جامعات جديدة، خاصة أن متابعة أنشطة الجامعات الخاصة التعليمية والبحثية والمالية أمر يستلزم الاهتمام الجدى من جانب أجهزة الدولة المعنية، خصوصا أن التجربة لا تزال وليدة ولا يملك المجتمع المصرى رفاهة أن تتعرض للفشل أو التعثر.

بريد الأهرام ١٩/ ٣/ ٢٠٠١

obeikan.com

3 الجامعة بين الماضي والحاضر

عند بداية كل عام جامعى يمر أمام عينى شريط طويل من الذكريات يحمل القليل من الأحداث المفرحة والكثير من الشجون والأحلام المؤجلة تتعلق بهذا الصرح الشامخ تاريخه المضيء ومسيرته الشاقة ومستقبله الغامض أين جامعة اليوم من جامعة الأمس لقد كانت البداية أقوى من سطوة المحتل البريطانى، ومؤامرات القصر لأنها خرجت من صفوف الشعب المصرى الذى سارع بجميع فئاته من الوجهاء والبسطاء ومن النساء والرجال أقول سارع للتبرع بكل نفيس وغال من أجل إنشاء أول جامعة أهلية مصرية فى العالم العربى وأفريقيا أضاءت ربوع الوادى فى أوائل القرن العشرين وجسدت بقيامها جماع الروح الوطنية ومدى أصالة وعمق الرغبة فى التعلم وتقديس العلم كقيمة عليا لدى الشعب المصرى.

ولقد ظلت الجامعة تقوم بدورها فى تخريج الأجيال وإنتاج المعرفة العلمية وتكريس السيادة الوطنية وغرس روح الانتماء والولاء لهذا الوطن العظيم قرابة ما يزيد على مائة عاماً، وكان طلابها يتصدرون صفوف الحركة الوطنية كما كان أساتذتها يمنحون بسخاء جل عطاؤهم لكل باحث جاد يطرق أبواب المعرفة والبحث العلمى، ولكن تعرضت الجامعة فى السنوات الأخيرة لرياح عاتية أفقدتها استقلالها وكيانها المتميز وجعلتها رهينة لتقلبات وأهواء السلطة السياسية وكان لابد أن يتم ذلك على حساب منظومة القيم والتقاليد التى سعى الرواد الأوائل إلى غرسها وتثبيتها ثم جاءت رياح السوق والخصخصة كى تكتسح ما تبقى من هذه

القيم والأصوليات وأصبح تجار التعليم الجامعى ينافسون تجار اللحوم والفاكهة، وكان لابد أن يتوارى البحث العلمى وتصبح الشهادة الجامعية سلعة تشترى بالدروس الخصوصية أو من خلال الجامعات الخاصة.

وعلى سبيل المقارنة بينما كانت عليه الجامعة وما آلت إليه الآن انتقيت من تاريخ الجامعة وثيقة مهمة كتبها طه حسين فى منتصف الثلاثينيات من القرن العشرين خلال عمادته لكلية الآداب والرسالة مؤرخة «أول ديسمبر ١٩٢٦» وجه طه حسين رسالته إلى مدير الجامعة يضع فيها استقالته من وظيفته المرموقة كعميد بكلية الآداب فى كفة ويضع فى الكفة المقابلة تصحيح أوضاع وتوفير الميزانية اللازمة بكلية الآداب لإنشاء كراسى جديدة والمعروف أن إنشاء الكراسى فى الجامعة يعد من أعمال التأسيس التى ارتبط بها اسم طه حسين فى تاريخنا الحديث. ولنتأمل ما جاء فى الرسالة : «حضرة صاحب المعالى مدير الجامعة المصرية أتشرف بأن أرفع إلى معاليكم استقالتى من منصب العميد لكلية الآداب راجياً أن تتفضلوا فتأمروا برفعها إلى حضرة صاحب المعالى وزير المعارف، الذى يحملنى على هذا التصرف حرمان كلية الآداب من الاعتماد الإضافى الذى منح للجامعة ٥ آلاف جنيها وهو على كل حال لن يكون أقل من المبلغ اللازم لإنشاء الكراسى الثلاثة التى صدرت المراسيم بإنشائها ولما عدت من أوروبا وجدت أن هذه الكراسى لم تنشأ لها الدرجات الملائمة فى الميزانية وقد فهمت أن هذا جاء من عمل وزارة المالية فلم أنكر على الجامعة شيئاً وإنما سعيت فى إصلاح الأمر عند وزارة المالية نفسها وقد عرضت وجهة نظرى على وزير المالية أمس فتفضل بقبولها ووعدنى بإنشاه الكراسى دون مساس بالميزانية فلما طلبت هذا صباح اليوم إلى حضرة صاحب العزة السكرتير العام تبينت منه أن ليس إلى ذلك سبيل لأن الجامعة وزعت الاعتماد

ولم تعط منه كلية الآداب إلا مقداراً ضئيلاً لا يكاد يتجاوز ألف جنيه، ولما كان هذا التصرف مخالفا لما اتفقت عليه مع معاليكم من جهة ومضيعاً لمصالح الكلية والتعليم فيها من جهة أخرى وسادا للطريق فى وجه جماعة من رجال التعليم لا ينبغى أن تسد أمامهم الطريق فإنى آسف أشد الأسف لأنى لا أستطيع أن أحتمل تبعته ولا تبعة المنصب مادام هذا التصرف قائماً. وأرجو أن تقبلوا تحيتى الخالصة وإجلالى العظيم».

انتهت رسالة طه حسين التى تشف عن عزة نفس وتمسك بالحق مما أصبح نادر الوجود فى جامعاتنا اليوم أين العميد أو الأستاذ الجامعى الذى يقدم استقالته احتجاجاً على عشرات الانتهاكات التى ترتكب ضد الجامعة وتقاليدها العلمية وقيمها الأخلاقية، والتى تتمثل فى إلغاء انتخابات العمداء وخفض نفقات البحث العلمى إلى أقصى حد وغياب المعايير فى اختيار وتعيين القيادات الجامعية وإلغاء اللائحة الطلابية ووضع الحركة الطلابية تحت وصاية الأساتذة الموظفين واستشراء الدروس الخصوصية فى كليات الطب وغيرها .. إن جامعاتنا المصرية فى حاجة ملحة إلى ثورة من الداخل لتصحيح مساراتها.

صوت الجامعة ٢٣/ ١٠/ ٢٠٠٢

4 هل البحث العلمي في خطر؟

ما الخطر الحقيقى الذى يهدد الحياة الأكاديمية اليوم؟

سؤال مطروح على جميع المشتغلين بالبحث العلمى، سواء فى الجامعات أو مراكز البحوث، قد يجمع هؤلاء وأولئك على أن ضعف الميزانيات المخصصة للبحوث والتى لا تزيد على ٣ فى الألف هى الخطر الأكبر، وإجاباتهم لا تخلو من الصحة ولكن هذا لا يمثل وحدة الخطر الحقيقى إذ أن التهديد الأعظم يكمن فى هذا الكم الهائل من البحوث العلمية التى لا تزيد على كونها صياغات معادة وركيكة لموضوعات تقليدية أو اقتباسات غامضة مترجمة من بحوث أجنبية.

فالأمر الشائع الآن بالنسبة للعلوم الاجتماعية والإنسانية على وجه الخصوص تلك القوائم الطويلة من البحوث والدراسات التى تقدم من أجل الحصول على درجات علمية أو للترقية فى السلم الوظيفى الجامعى، والتى تصدرها مجلات صادرة عن بعض الجامعات الإقليمية، ويشرف عليها مجموعة من أشباه المتخصصين الذين يدعمون بعضهم بعضاً ويقومون بتحكيمها بصورة شكلية ويوصون بنشرها، وهى فى الواقع لا تؤصل ما هو معلوم من المعرفة العلمية ولا تضيف فكراً جديداً فى مجالات العلم الاجتماعى والإنسانى، بل تدعم الأسوار العالية للجهل المتبادل من خلال تفتيت المعرفة العلمية إلى مناطق نفوذ أضيق وحصرها فى دوائر محدودة ضيقة لا تساعد على الشمول المعرفى.

ومما زاد الأمر تفاقماً ذلك الانبهار الطاغى بالثورة الإلكترونية التى يعتقد معظم

الباحثين أنها سوف تحل جميع المشكلات وتزيل جميع العقبات وتخلع على المتعاملين معها أوسمة البهاء والتفرد العلمى متجاهلين الحقيقة البسيطة التى تشير إلى أن هذا الفيض الهائل من المعلومات لا يصنع معرفة حقيقية، بل قد يؤدى إلى مزيد من الارتباك والتشوش خصوصاً فى ظل غياب الرؤى الاستراتيجية التى تحدد أولويات القضايا والمجالات البحثية الأولى بالرعاية والاهتمام، والمداخل النظرية والمناهج الملائمة التى تتحقق من خلالها وحدة المعرفة، ولا شك أن هناك بعض الدراسات الجادة والتى تحوى بعض سمات الألمعية والنبوغ ولكنها قد تضيع وتتوه فى لجة هذا الفيضان من الأعمال الضحلة.

وقد لا أكون مبالغة حين أقول: إن هذا الفيضان المعلوماتى قد التهم الحياة الفكرية الأكاديمية التى لا تتجدد إلا بخلق دوائر ومنتديات للتفاعل العلمى الحقيقى، تكرس نفسها لمناقشة وتقييم البحوث والأعمال العلمية المنشورة وتسعى بجدية من أجل تحويل بؤرة التركيز لدى الباحثين من الكم إلى الكيف، وتعمل على تشجيعهم على اقتحام مجالات غير تقليدية وأن يبذلوا جهوداً جادة فى تأصيل بحوثهم.

ولكن كى يتحقق ذلك لابد أن نوفر لهم مناخاً أفضل يتنفسون فى ظلاله روح البحث والرغبة فى الإجادة، والسعى إلى التأصيل والاقتناع الداخلى العميق بأن المعرفة العلمية والسعى لامتلاكها والتزود بها هى أرقى أشكال التحقق الإنسانى، بل هى الثروة الحقيقية الأبقى والأجدر بالاهتمام من شتى أنواع البريق الزائف الذى تمنحه المناصب التى يلهث خلفها الكثيرون.

صوت الجامعة ٢٠ نوفمبر ٢٠٠٢

5 الباحث ليس نبيًا

لا شك أن العولمة بسياساتها وآلياتها وتجلياتها والتى تأخذ منحنى سرى فى إنتاجها وترويجها تتطلب جهداً متواصلاً من أجل رصدها من خلال البحث العلمى للكشف عن آثارها غير المرئية بالنسبة لغالبية الناس خصوصاً أنها تمنح كل المغانم للمتحكمين فى السوق العالمية وتلقى بكل المغارم على عاتق الكادحين والشرفاء فى جميع الطبقات كما تحرم جميع البسطاء والمستضعفين من أبسط حقوقهم الإنسانية وهنا يبرز دور الباحثين والعلماء فى ضرورة تنبيه الناس إلى مخاطر السياسات الراهنة التى تتحكم فى مسار العولمة فهناك التزام اجتماعى وأخلاقى يفرض على هؤلاء الباحثين ضرورة تجاوز الأسوار الجامعية والقيود الأكاديمية وأن يحملوا معرفتهم إلى خارج دور العلم إذا لا يقتصر دور هؤلاء الباحثين على البحث داخل الأبراج العلمية فى الجامعات ومراكز البحوث والاكتفاء بالحصول على تقدير واهتمام الباحثين الآخرين الأمر الذى يشكل إحدى صور التحفظ والهروب من مواجهة الواقع والاشتباك مع مشاكله وقضاياه وتحدياته ويفرز تداعيات وآثار اجتماعية وثقافية وخيمة.

وهنا نطرح قضية الدور الاجتماعى للباحثين فالباحث العلمى ليس نبياً ولا مفكراً معزولاً عن واقع مجتمعه بل تقع على عاتقه مسئولية مزدوجة يتمثل بعدها الأول فى دوره الأكاديمى فى قاعات التدريس والبحث فيما يتمثل بعدها الثانى فى دوره الآخر المكمل للدور الأول وأعنى به ضرورة التصدى للمشكلات التى

يواجهها مجتمعه فى مجالات التعليم والثقافة والصحة والاقتصاد والسياسة وعلى الباحثين الذين ينتمون للعلوم الاجتماعية أن يدركوا أن جهودهم الفردية ستكون محدودة الأثر بينما لو نظموا أنفسهم وحرصوا على القيام بجهد جماعى فسوف يؤثرون بصورة أكثر فاعلية فى تنبيه الناس وفك الالتباس وتوصيل الوعى الصحيح وكشف الآليات الشائعة لتزييف الوعى وخلق الشروط الملائمة للإبداع الجماعى وهذه هى الخطوة الأولى فى رحلة التغيير الحقيقى للواقع الذى يبدأ بالوعى الجماعى فالوعى الفردى ليس وحده بقادر على إحداث التغيير ولا شك أن خلق حركة اجتماعية واعية نشطة مرهونة بدور الطلائع من الباحثين الجادين فى مواجهة قوى التسلط والفساد والتى تستمد سطوتها واستمراريتها من ضعف وتشرذم القوى الواعية فى المجتمع وأعنى بها العلماء والمثقفين والنشطاء فى العمل الاجتماعى والأهلى.

وإدراك هذه الحقيقة الجوهرية يفرض علينا ضرورة السعى لخلق آليات للتواصل والتعاون بين جماعات العلماء والمثقفين كى نمهد الطريق لإمكانية ولادة حركة اجتماعية ناهضة وقادرة على خلق ظروف التغيير الحقيقى الذى يستهدف رد الاعتبار لإنسانية الكادحين والمهمشين والبسطاء.

صوت الجامعة ١٩/ ٣/ ٢٠٠٣

6 فيروس المناصب

من الظواهر التى شاعت أخيرا فى الأوساط الجامعية والعلمية استشراء أنواع قديمة متجددة من الفيروسات أبرزها فيروس المناصب واعتقاد الكثير من الأساتذة الجامعيين أن المنصب أهم من الإنجازات العلمية وتربية الكوادر رغم أنه من المتوقع أن تكون هذه الإنجازات هى الطريق والوسيلة الأساسية للصعود الوظيفى فى السلك الجامعى.

وهذا الفيروس اللعين عندما يتمكن من شخص يمتص جميع خلاياه الحية التى تمنح الشخص القدرة على العطاء العلمى والتفاعل الإنسانى مع الآخرين، إذ سرعان ما تفسد هذه الخلايا تدريجيا بمجرد جلوس الشخص على كرسى السلطة وتتحول الدوافع الخيرة النبيلة إلى أنانية وتمركز حول المصلحة الشخصية فلا يطيق صاحب المنصب النقد أو صدق القول بل يطرب للثناء وهناك شلل النفاق الموجودة فى كل عصر وأوان جاهزة ومستعدة لتقديم خدماتها وتبدأ أسطوانات الثناء المزيف والتبجيل الأجوف ويحصدون مقابل ذلك بعض فتات الموائد الذي يتمثل في مناصب تنفيذية وبعض الامتيازات المادية مقابل التخديم على صاحب السلطة وتجميل وجهه وتبرير أفعاله التي تتناقض مع المصلحة العامة ولا بأس من الهجوم عليه سرا لمجاراة المعارضين، أما الفيروس الثاني الذي أصاب الأوساط الجامعية فهو يتمثل في النهم الذي يصل إلى حد السعار والذي أصاب العديد من الأساتذة خصوصاً هؤلاء الذين ينتمون إلى فئة الشباب ومتوسطي الأعمار ليس فى

مجال الإنتاج العلمي من خلال تقديم إضافات جديدة فى مجال البحوث أو ابتكار أساليب تعليمية جديدة لإنقاذ الأجيال الجديدة من آفة التلقين والمذكرات المشبوهة ولكنه النهم من أجل اقتناص أى فرصة للكسب المادى من خلال الانتدابات للجامعات الخاصة والإقليمية والتعليم المفتوح بحيث يصبح من المستحيل أن يتوافر لهؤلاء الأساتذة الوقت أو الجهد للقراءة ومتابعة التطورات التى تطرأ فى مجالات المعرفة العلمية. ولذلك أهيب بجميع المسئولين عن مستقبل التعليم الجامعى الإسراع بالتدخل لإنقاذ العقل الجمعى بالجامعات المصرية والسعى بإخلاص من أجل تغيير أجندة الأولويات الجامعية ووضع معايير موضوعية لاختيار القيادات الجامعية وضوابط لتقييم أدائهم وتطويره وتشجيع المؤتمرات العلمية الجادة والتقليل من المهرجانات الاحتفالية الدعائية وإعلاء قيمة البحوث الجامعية والاهتمام بإعداد الكوادر الجامعية الشابة وتطوير المكتبات الجامعية ولن يتحقق ذلك كله أو بعضه إلا باعتماد الميزانيات اللائقة ورعاية الكرامة الاقتصادية لأساتذة الجامعات لأنهم العمد الحقيقية لاستعادة الوجه المضىء للجامعات.

صوت الجامعة ٢٧/ ١٠/ ٢٠٠٣

7 لطفي السيد واستقلال الجامعة

استقال لطفى السيد من رئاسة الجامعة المصرية فى ٩ مارس ١٩٣٢، احتجاجا على إبعاد طه حسين من عمادة كلية الآداب . ورغم أن هذه الاستقالة قد حدثت فى سياق ظروف سياسية واجتماعية غير مواتية إذ كان يحكم مصر فى ذلك الوقت ثالوث بغيض مكون من الاحتلال البريطانى الذى كان يمثل السلطة الفعلية والملك فؤاد الذى كان يمثل السلطة الاسمية وإسماعيل صدقى - صاحب القبضة الحديدية ورئيس حزب الشعب صنيعة الملك والإنجليز- كان يشغل منصب رئيس الوزراء إلا أن الجامعة كانت لا تزال تزخر بنخبة متميزة من العلماء الأجلاء المؤمنين برسالة الجامعة وضرورة استقلالها عن السلطة التنفيذية. وعندما نستعيد شريط الأحداث فى الفترات التالية على هذا الحدث، نجد أن اللجنة الوطنية للطلبة والعمال التى قادت انتفاضة ١٩٤٦ قد خرجت من قلب الحركة الطلابية بالجامعة المصرية وكان ذلك خلال فترة حكم إسماعيل صدقى واستمرار الثالوث البغيض فى إحكام هيمنته على مقدرات الوطن وشئونه الداخلية والخارجية ومع ذلك لم تحل هذه الظروف دون صمود الجامعة كقلعة علمية وحصن للدفاع عن سيادة الوطن وتحرره، وبعد قيام ثورة يوليو ١٩٥٢ وبالتحديد بعد أزمة مارس ١٩٥٤ التى انتهت بسيادة المؤسسة العسكرية وهيمنتها على مقدرات الوطن كانت الجامعة هى أول المواقع الذى دفع ثمنا فادحا للحكم العسكرى ثم تلتها بعد عدة سنوات الصحافة، فإذا كانت الصحافة لا يمكن أن تزدهر إلا فى مناخ ديمقراطى حقيقى

يؤمن بالتعددية الفكرية والسياسية فإن الحريات الأكاديمية لا تزدهر أيضا إلا فى محيط اجتماعى وسياسى يؤمن بحرية البحث العلمى واستقلال الجامعة عن السلطة التنفيذية.

وقد أدى التناقض الصارخ بين القيادة الحاكمة ذات التكوين العسكرى الذى يعتمد على إطاعة الأوامر والتعليمات ثم التظلم فيما بعد وبين الجامعة والصحافة أدى هذا الاختلاف الجذرى فى الرؤية والممارسة إلى تدجين هاتين المؤسستين الحيويتين وأعنى بهما الصحافة والجامعة لصالح المؤسسة العسكرية وأيديولوجيتها الأحادية الصارمة والتى فرضت هيمنتها الكاملة ومعاييرها وشروطها على كافة أنشطة المجتمع الرسمية والشعبية، وكان لابد أن يؤدى هذا النهج إلى نشوء مناخ غير سوى حول معظم الصحفيين «خصوصا فى الصحف القومية» إلى موظفين، كما ساعد على انتشار الجبن والخوف أو الانتهازية بين معظم أساتذة الجامعات وتوارت منظومة القيم الإيجابية التى شجعت العقل المصرى على الإبداع فى العلم وفى العمل الوطنى، ورغم الإنجازات العديدة التى حققها الحكم الوطنى لثورة يوليو والتى تمثلت فى بناء السد العالى ومجانية التعليم والإصلاح الزراعى وتأميم القناة ومساندة الشعب الفلسطينى فى مواجهة الاغتصاب الصهيونى للوطن الفلسطينى إلا أن كل هذه الإنجازات المشرقة التى أضاءت وجه الوطن فى فترة هامة من تاريخه لم تستطع أن تخفى مساحات الغمة التى خيمت على المؤسسة الجامعية ومؤسسة الصحافة والإعلام فى ظل القيود التشريعية والضوابط الإدارية الصارمة وتقارير الأمن والاستخبارات الظالمة، أين نحن الآن من موقف لطفى السيد؟ لقد تزعزع البناء الجامعى فى أحداث ١٩٥٤ تحت مسمى تطهير الجامعة وتم فصل العديد من خيرة الأساتذة والعلماء ولم يتحرك الكيان الجامعى للدفاع عن كرامته وحقوقه المهنية،

وتعرضت الجامعة لهجمة شرسة للمرة الثانية تمثلت فى إبعاد ٦٤ أستاذا جامعياً وسجن واعتقال بعضهم فى سياق أحداث سبتمبر ١٩٨١ التى انتهت باغتيال السادات وأيضا لم يتحرك الأساتذة للدفاع عن استقلال جامعتهم وحقوق زملائهم.

لاشك أن هذا الموقف المتخاذل هو نتاج طبيعى لسياسة التدجين التى خضعت لها الكوادر الجامعية عبر عدة أجيال والتى استسلمت فى ظل غياب الحريات الأكاديمية وسيادة مناهج التلقين والحفظ واختراق الأمن للجامعة وتدخله فى أدق شئونها والآن لا يجوز الاستمرار فى هذه السياسات المعادية للعلم وحرية التعبير والتى كانت تلائم فترات سابقة، لم يعد هذا يليق بنا وعلينا أن نبدأ فى تصحيح هذه الأوضاع بلا تهاون أو خداع للذات أو إيثار للسلامة فالمؤسسة الجامعية التى نشرف بالانتماء إليها فى حاجة إلى عقولنا وإرادتنا لبلورة عمل جماعى ينفض تركة الموروثات التى تعوق تقدمنا وتهدد قدراتنا الإبداعية فهل نبادر؟ ومتى؟

صوت الجامعة ٢٩ مارس ٢٠٠٤

8 المكافأة الحقيقية !

أبدت صديقتى عالمة الاجتماع بجامعة جواهر لال نهرو دهشتها عندما علمت أننى لا أحصل على أى عائد سنوى أو موسمى من نشر كتبى وأن معظم الناشرين فى بلادى لا يؤمنون بقوانين الملكية الفكرية ولا يحرصون على تطبيقها وأخبرتنى هذه الصديقة الهندية أن جميع سفرياتها لحضور المؤتمرات يقوم بتمويلها الناشرون الهنود والأجانب ونصحتنى باللجوء إلى القضاء ليس لحماية حقوقى فحسب بل لإرساء قاعدة لحماية حقوق الكتاب والباحثين من الأجيال الجديدة وإلا فإن مسلسل إهدار حقوق المؤلف سوف يستمر تأملت نصيحتها قليلاً ثم بادرتها بالقول بأننى حريصة على عدم إهدار طاقتى فى متاهات القضاء خصوصاً وأن ألاعيب بعض الناشرين وحيلهم لا تنتهى وليس لهم رادع سوى ضمائرهم وتذكرت حينئذ قصة قصيرة للكاتب الجزائرى المبدع عبد الحميد هدوجه بعنوان (الكاتب) وتحكى قصة أحد الأدباء الذين أثروا حياة بلادهم بالعديد من الإبداعات ويتعرض لأزمة صحية قاسية ولا يجد ثمن الدواء، فيلجأ على استحياء إلى الناشر الذى يحتكر طبع ونشر كتبه العديدة، ويضن عليه دوماً بنصيبه من عوائد بيع الكتب، فأخبره الناشر أن يحضر فوراً وتسلم مستحقاته، فذهب الأديب متحاملاً على مرضه إلى مقر الناشر واستلم فى مظروف أصفر النقود المستحقة له وعدها فوجدها أربعة جنيهات مقابل احتكار طبع ونشر ١٧ كتاباً على مدى خمسة عشر عاماً. أصيب الأديب بغصة جعلته عاجزاً على التعليق وقبل أن يفيق من

دوامته أخبرته سكرتيرة الناشر بوجود خطاب باسمه قدمته له فى مظروف يعلوه التراب والتجاعيد فتحه وهو مستند إلى الجدار الخارجى للمبنى فوجده من قارئة تعيش فى منطقة نائية وتعانى أهوالاً من لظلم الاجتماعى اللاإنسانى ولا تجد شيئاً يضيء حياتها سوى كتبه التى تمنحها الأمل والقدرة على الاستمرار ولذلك أطلقت اسمه على ابنها البكرى، فأحس الأديب بارتياح عميق وأدرك أن هذه هى المكافأة الحقيقية التى يمكن أن تسعده!! فهل نقتدى بهذا الأديب ونترك الناشرين يبنون العمارات ونواصل نحن رسالتنا فى بناء العقول.. وإلى من يلجأ المؤلف للحصول على حقوقه؟

جريدة الأهرام – ٢٨ أبريل ٢٠٠٣م

9 لمن ندق الأجراس ؟!

الواقع أن التعليم الجامعى قد عانى التدهور المتزايد فى السنوات الأخيرة لأسباب عديدة لعل أبرزها الاهتمام بتخريج أعداد كبيرة من الطلاب على حساب المستوى العلمى وحرمان الحركة الطلابية من ممارسة الأنشطة الثقافية الجادة بل وتشجيعها على الانخراط فى الأنشطة الترفيهية والجوالة فضلا عن انحسار الاهتمام بالبحث العلمى داخل الجامعات، ويؤكد ذلك ضآلة الميزانيات المخصصة للبحوث والمؤتمرات العلمية وغياب السياسات البحثية فى الجامعات، بل أكاد أقول إن مهمة نواب رؤساء الجامعات للدراسات العليا والبحوث أصبحت مقصورة على المتابعة الروتينية للدراسات العليا وإغفال الجزء الخاص بالبحوث وهناك عشرات الشواهد على ذلك ويمكن الرجوع إلى ميزانيات البحث العلمى فى الجامعات المصرية خلال السنوات الماضية للتأكد من أنها لا تزيد عن ٠,٥٪ من الميزانية العامة للتعليم الجامعى مما أدى إلى تحول الجامعات إلى مدارس تقليدية امتداد للتعليم الثانوى القائم على التلقين وليست مراكز لإنتاج المعرفة العلمية واكتشاف المواهب وتشجيعها وتقديمها للوطن كركائز ورموز للإبداع والتفوق فى ميادين المعرفة العلمية المختلفة، كما كان يحدث فى السابق، عندما كانت الجامعة المصرية تعد المؤسسة والمصنع الفكرى والثقافى والعلمى الرئيسى لإنتاج وازدهار الإبداع العلمى فى مختلف فروع المعرفة الإنسانية، ولا شك أن الأوضاع الاقتصادية لأعضاء هيئة التدريس بالجامعات قد أسهمت بصورة فادحة فى غياب الدور

الحقيقى للجامعات إذ أدت ضآلة المرتبات وغياب المناخ المشجع للبحث العلمى إلى استنزاف طاقة الأساتذة فى الانتدابات للجامعات الإقليمية والخاصة ثم التعليم المفتوح وأخيرًا ما يسمى التعليم الموازى وذلك لضمان الحد الأدنى من الستر وليس ضمان الحد المعقول من الحياة الكريمة التى تكفل لعضو هيئة التدريس مواصلة القراءة الجادة والمتابعة والبحث والابتكار وتطوير أدائه العلمى، بل أصبح همه الأكبر تدريس مقررات تقادمت بفعل التطور المتسارع فى مجالات التخصص المختلفة أو إعادة إنتاج الكتب والدراسات التى أنتجها بعض أعضاء هيئة التدريس فى صورة مذكرات هزيلة كما تحولت الجامعة إلى ساحة للصراع الضارى بين صغار الأساتذة للتدريس للدفعات الكبيرة لضمان توزيع مذكرات التخلف العقلى وجنى آلاف الجنيهات، وتزداد هذه الظاهرة شيوعاً فى الجامعات الإقليمية ولدي شخصيا أسماء كثيرة لعشرات المشاركين فى هذه المخالفات الجسيمة .. والضحايا هم الطلاب والعلم الذى أصبح سلعة مبتذلة فى أيدى فئات تفتقر إلى صحوة الضمير ليس بسبب العوز بل السعار والنهم وانحسار القيم العظيمة التى أرستها الجامعة المصرية منذ نشأتها فى أوائل القرن العشرين.

ولكن لمن ندق الأجراس من أجل إنقاذ الأجيال الجديدة من الضحالة وشيوع القيم السلبية ونحن محاصرون بكم هائل من القيود والعوائق التى يشارك فى تكريسها مواكب المنافقين من المنتفعين المتمركزين حول مصالحهم الشخصية.

صوت الجامعة ٣ نوفمبر ٢٠٠٣

10 عقول الأبناء

كنت فى زيارة لأحد القيادات الإدارية بالكلية وعلى غير عادته فوجئت به مهموما إلى حد الاكتئاب وأمامه أكوام من ملخصات الدروس فى علوم الإدارة والمحاسبة والرياضيات فسألته عن سر اكتئابه وعن هذه الأكوام الورقية أجاب بأن هذه الأكوام هى سبب اكتئابه لأن ابنته التى تدرس بكلية التجارة «التى تخرج منها منذ سنوات طويلة» قد استبعدت المذاكرة من الكتب والمراجع الأصلية فى المواد التى تدرسها وفضلت أسوة بزملائها الاستعانة بهذه الملخصات التى يقوم بإعدادها المعيدون والمدرسون المساعدون. ثم تنهد بأسى وقال لقد فشلت جميع محاولاتى لإثنائها عن رأيها خوفا عليها من التخرج فى هذه الكلية التى يعتز بها ومن المؤكد أنها ستحصل على الشهادة وربما بتقدير جيد أو أكثر دون أن تكتسب الحد الأدنى من المعرفة العلمية فى مجال التخصص. حاولت أن أهدئ من روعه وأنا أقاوم إحساسى بالحزن الشديد على ما آل إليه التعليم الجامعى فى بلادنا خصوصاً وأن هذه الحالة ليست استثنائية كما أنها لا تقتصر على كلية التجارة، بل اكتسحت جميع فروع المعرفة العلمية فى مجال العلوم الإنسانية والاجتماعية وأصبح هم الأجيال الجديدة هو الإلمام بجزئيات مبتورة من المقررات الدراسية فى حدود الكم الذى يضمن لهم النجاح فى الامتحان والحصول على الشهادة الجامعية ولتذهب المعرفة العلمية إلى الجحيم. تأملت السوس الذى بدأ ينخر قى أعز ما نملكه: عقول أبنائنا الذين نؤهلهم لمواجهة تحديات عصر المعلومات حيث أصبحت المعرفة والمنتج

العقلى هما وسائل الإنتاج الحاسمة والوحيدة لتوفير الرزق وحماية الكرامة الإنسانية وتحقيق المكانة الاجتماعية والثقافية وأهم من ذلك تحديد الأدوار والمسئوليات تجاه الأسرة والمجتمع والوطن ككل. إننى أتساءل ومعى الكثيرون: من المسئول عن استمرار واستشراء هذه الكارثة؟

هل هى نظم التعليم التى تقوم على التلقين وفى قلبها نظم الامتحانات العقيمة التى لا تقيس إلا قدرة الطالب على التذكر.

وبالمناسبة تشغل هذه القدرة أسفل سلم القدرات إذ يليها القدرة على الفهم ثم القدرة على التحليل والتركيب والاستنتاج وتتوجها القدرة على تكوين الرؤية ووجهة النظر. للأسف إن جميع المسئولين عن التعليم العام والجامعى يعلمون هذه الحقائق البديهية ويتحدثون طوال الوقت عن مساوئ النظام الحالى وسلبياته الفادحة ولكنهم لا يتحركون بجدية لتغيير هذه الأوضاع التي لا تمنح الوطن فى النهاية إلا خريجين مشوشين فاقدى القدرة على تكوين مواقف، عاجزين عن الإسهام بفاعلية فى النهوض بأنفسهم وبمجتمعهم.

صوت الجامعة ١٠/ ١١/ ٢٠٠٣

11 أزمة الحركة الطلابية الحالية

يتساءل البعض عن أسباب عزوف الطلاب عن المشاركة فى الأنشطة المتاحة لهم والمسموح بها فى الكلية ويبدى خشيته من احتمال استفحال وتفاقم هذه الظاهرة مما ينذر بتحويل الجامعات إلى مجرد مدارس.

والواقع أننا عندما نحاول أن نتأمل هذه الظاهرة بهدف الخوض فى جذورها لمعرفة الأسباب الحقيقية التى تجعل الطلاب يحجمون عن المشاركة فى الأنشطة تبرز أمامى أسباب كثيرة تبدو غائبة عن المسئولين عن التعليم الجامعى ولكنها تظل ماثلة فى الذاكرة الطلابية جيلاً بعد جيل، لعل أول الأسباب يكمن فى إلغاء اللائحة الطلابية ١٩٧٦ والتي كانت تضع زمام الأمور الطلابية فى أيدى قادتهم الذين ينتخبون فى إطار ديمقراطي وحل محلها لائحة ١٩٧٩ التى سلبت الحركة الطلابية استقلالها ووضعت زمام الأمر فى أيدى الأوصياء من الأساتذة وقد كافح الطلاب سنوات عديدة لإعادة العمل باللائحة القديمة ولكن السلطات الجامعية فاجأتهم بضربة قاصمة أخرستهم وجعلتهم يتراجعون عدة خطوات إلى الخلف وقد تمثلت هذه الضربة فى نظام الفصل الدراسى دون سابق إنذار أو دراسة متأنية للتأكد من مدى صلاحية هذا النظام لتأهيل الطلاب علمياً ومعرفياً وإتاحة المجال لهم للتثقيف وممارسة الأنشطة الفكرية والاجتماعية والرياضية وقد شهدت ساحات الجامعة الكثير من المعارك بين الطلاب ومسئولى الأمن بسبب تمزيق صحف الحائط التى يعلقها الطلاب الموالون للتيارات السياسية المعارضة للحزب الحاكم. وقد

دارت الأيام وخلت الجامعة من أى نشاط فكرى أو سياسى أو ثقافى وأعلن الطلاب احتجاجهم بطريقتهم الخاصة العزوف عن المشاركة فى الأنشطة التي أصبحت مقصورة على الجوالة والمهرجانات الرياضية وغابت الأنشطة الثقافية والإعلامية والفكرية لأنها تستفز السلطات الجامعية ومسئولى الأمن والسؤال ماذا ننتظر من الطلاب وقد حاصرتهم القيود وألغيت لائحتهم الأصلية ثم ضيق الخناق عليهم بنظام الفصلين الذى أثبتت التجربة عبر عدة سنوات أنه نظام غير مدروس وقد فرض لأسباب سياسية ولا تمت بصلة للأهداف العلمية والمعرفية بل كانت المعرفة والتعليم والثقافة هى الضحايا الحقيقيين إذ لا يسمح للأساتذة بمنح الطلاب الجرعة العلمية الكافية فى جميع التخصصات كما لا يسمح للطلاب بالاستفادة المعرفية أو الفرصة الكافية لممارسة أى نشاط ثقافى أو فكرى حقيقي.. وقد يكون من السهل أن تلقى المسئولية على الطلاب وهم فى الواقع ضحايا بسبب عدم وضع اهتماماتهم واحتياجاتهم وقدراتهم موضع الاعتبار عند فرض أى سياسة جامعية تتناول أوضاعهم ومستقبلهم نحن فى حاجة حقيقية إلى مواجهة هذا الواقع الطلابى بروح جديدة تتسم بالشجاعة وتستهدف وضع حلول جذرية وعدم الاكتفاء برصد المظاهر الخارجية مع الاستمرار فى فرض السياسات الخاطئة ورصد الميزانيات الضخمة التى لا تسفر إلا عن المزيد من الفشل واتساع الفجوة بين احتياجات الطلاب وبين أهداف السلطات الجامعية إن ما يحتاجه الطلاب أن نسعى بجدية وإخلاص لإزاحة جميع العوائق والقيود التى تراكمت عبر السنين ونفسح أمام الطلاب الآفاق الرحبة للمعرفة والثقافة وأن نكف عن إلقاء اللوم عليهم إنهم فى الواقع ضحايا وليسوا جناة.

صوت الجامعة ١٧/ ١١/ ٢٠٠٣

12 ثقافة الفساد

لا شك أن اتساع مساحة الفقر والإفقار المادى والمعنوى تعد أبرز ما يشد انتباه أى مواطن جاد يملك بقايا استقامة نفسية وعقلية وينتمى إلى موروثات حضارية واجتماعية عريقة قامت على أعمدتها منظومة من القيم والسلوكيات مثل الجرأة فى الحق والتكافل الاجتماعى والصلابة فى مواجهة الشدائد والانتماء الحقيقى لهذه الأرض ولملايين البشر والمتشبثين بتراثها الثقافى والدينى الحريصين على استمرارية ما أرساه الأجداد والآباء من تقديس للعمل ونفور غريزى من الثروات المحرمة واحتقار معلن وخفى لكل من يتجرأ على خيانة الأمانة أمانة الكلمة وأمانة الفعل أقول إن أشد ما يثير الأسى غياب هذه المنظومة من القيم ووجود شماعات تقليدية نعلق عليها هذا التدهور الكاسح فى معظم قطاعات الحياة فى مصر، وأولى هذه الشماعات الفقر والبيروقراطية وهيمنة الأجنبى على مقدراتنا ورغم أن هذه الأسباب صحيحة ولكنها ليست وحدها مسئولة عما وصلنا إليه من فقر إنسانى وأخلاقى، فالفقر ليس جديداً على مصر وإنما الجديد هو الإفقار الذى يعنى وجود قوى مستفيدة من استمرار واتساع حلقات الإفقار المتعمد لجميع الفئات الكادحة فى هذا الوطن والتى أنتجت ملايين الشباب المتعطلين المحبطين الذين أجبرتهم الظروف على التحايل بكافة الوسائل الشريفة وغير الشريفة لضمان الحد الأدنى من استمراريتهم البيولوجية ناهيك عن الاستمرارية العقلية والوجدانية وعندما نتأمل ونتقصى الأسباب الحقيقية خلف هذا الوضع المأساوى نجد أن هناك طابوراً من المسئولين عن فعل الإفقار

والحرص على استمراريته من خلال الفساد الذى لم يعد مجرد حالات متفرقة أو استثناءات شائعة ولكنه تجاوز النسبة العالمية المعروفة والتى أشارت إليها تقارير التنمية البشرية والإنسانية وهى لا تتجاوز فى حدها الأقصى نسبة ١٠٪ فى أى مجتمع ولعل الشيء الأخطر فى قضية الفساد هو أنه تحول إلى ثقافة ذات مفردات وسلوكيات شاعت وانتشرت وطالت معظم الفئات والأجيال، فالمدرس الذى يشارك بصورة مباشرة أو غير مباشرة فى هدم الدور التربوى للمدرسة ويشارك فى استشراء ظاهرة الدروس الخصوصية وتحويل التعليم إلى سلعة فى سوق النخاسة وأستاذ الجامعة الذى يقبل عن طيب خاطر أو اضطرار الاشتراك فى تحويل التعليم الجامعى إلى أداة للإثراء من خلال الأبواب الخلفية مثل مجموعات التقوية والدروس الخصوصية والتعليم المفتوح والجامعات الخاصة وصغار المدرسين والمعيدين الذين يحولون كتب الأساتذة إلى مذكرات ضحلة يبيعونها على أسوار الجامعات تحت بصر المسئولين الجامعيين وسماسرة الثقافة والإعلام الذين يؤجرون بل ويسخرون جهدهم وأقلامهم للدفاع عن أباطرة السوق والقوى المشبوهة من الأجانب الذين لا يريدون الخير والتقدم لبلادنا مقابل حفنة من الدراهم وذلك تحت مظلة حقوق الإنسان والديمقراطية.

وهؤلاء الذين يلهثون خلف المناصب كى تمنحهم الوجاهة ومساندة ذوى النفوذ ولا يقومون بواجباتهم الوظيفية بل ينفقون أوقاتهم فى الدسائس والمؤامرات ضد زملائهم الجادين الملتزمين. جميع هؤلاء يشاركون فى صنع ثقافة الفساد الذى أصبح أخطبوطاً يهدد أى إنسان شريف وكل عمل جاد. إن الإفقار هو توأم الفساد والإفساد ولا يمكن القضاء على الإفقار والمستفيدين منه إلا باستئصال ثقافة الفساد من جذورها والخطوة الأولى هى تفعيل أجهزة الرقابة والمتابعة فى جميع الهيئات والمؤسسات الحكومية والأهلية.

صوت الجامعة – ١٥ مارس ٢٠٠٤

13 فقدان التواصل

فى كليتنا يدرس طلابنا أحدث تقنيات الاتصال ممثلة فى الأقمار الصناعية وفضائياتها والشبكة الدولية للمعلومات «الإنترنت» وحواسبها وسائر آليات التكنولوجيا الحديثة علاوة على أساليب الاتصال المباشر بكافة مستوياته الثنائية والجماعية وأقدم وسائل الاتصال المطبوع المتمثل فى الصحف، تأملت حالة الاتصال داخل كليتنا المنقسمة أكاديمياً إلى ثلاثة أقسام: الصحافة والنشر - الإذاعة والتليفزيون - العلاقات العامة والإعلان والتى تضم بشريا مئات الأشخاص المنتمين إلى عدة أجيال، تساءلت فى نفسى: هل هذه الأقسام تتواصل علمياً وهل هؤلاء البشر يتواصلون إنسانيا؟ وهل يتحقق من خلال هذا التواصل الهدف الأساسى من وجود هذه الكلية أى التكامل العلمى والإنسانى؟ وجدت أن التواصل العلمى يكاد يكون شبه مفقود، كل قسم منكفئ على تخصصاته الفرعية ومستغرق فى همومه المهنية، أما البشر الذين تجمعهم صلات الزمالة العامة فهم لا يتواصلون إلا بقدر محدود فى المناسبات العامة مثل يوم الخريجين أو تعيين عميد جديد أو المؤتمر العلمى السنوى للكلية، وقليل منهم استطاع أن يفلت من ترسانة الالتزامات والانشغالات الأسرية والمهنية والاجتماعية أو ينجح فى إقامة جسور التواصل الحميم، أما الغالبية العظمى فقد شغلهم السعى على الرزق ومحاولة انتزاع نصيبهم من الثروة والنفوذ وضمان الحد الأدنى من الستر الاقتصادى والاجتماعى، يلتقون فى ممرات الكلية مصادفة ويتبادلون المشاعر الطيبة على عجل ويسارعون إلى

المدرجات كى يمارسوا الواجب المهنى إلقاء المحاضرات وتأنيب الطلاب لعدم مواظبتهم على الحضور وتكليفهم بمزيد من المسئوليات العلمية والبحثية ثم الجرى خارج الكلية للحاق بمواعيد محاضراتهم بالجامعات الخاصة أو التعليم المفتوح لسد النقص الفادح فى مرتباتهم وضمان استمرار أدائهم لمسئولياتهم الأسرية المتزايدة، الوقت قصير وأعباء الحياة اليومية لا تدع لهم فرصة للقراءة العميقة أو التواصل العميق سواء مع أفراد أسرهم أو زملائهم أو طلابهم والمحصلة النهائية أداء شكلى متعجل لمسئولياتهم التعليمية فى المدرجات، وغياب شبه مطلق للبحوث العلمية، فالأغلبية ينقلون من البحوث السابقة التجهيز وقليل منهم أتاحت لهم الظروف أن يحققوا بعض التراكم الاقتصادى الذى يمنحهم الطمأنينة ومواصلة التعامل مع المراجع الحديثة فى التخصص وأغلبهم لا يستطيعون متابعة التطورات التى طرأت على علوم الاتصال من خلال المؤتمرات الدولية.

والسؤال: ما السبيل للخروج من هذه الدائرة الجهنمية ؟ وهل يمكن أن يكون الانشغال بتدبير شئون الحياة اليومية بديلا عن الانتباه إلى ضرورة تعميق التواصل الإنسانى بين هؤلاء البشر الذين تضمهم كلية مهمتها الأولى هى تعليم الاتصال وممارسته ولماذا لا نضع على أجندتنا اليومية ضرورة التواصل والسؤال عن أساتذتنا وزملائنا نهنئهم أو نواسيهم أو نطمئن عليهم ، نتواصل معهم من أجل التواصل الذى يثرى الوجدان ويكسر العزلة النفسية ويضفى نضارة على العقل الصادق الحميم والسلوك وليس التواصل من أجل المصلحة أو الاضطرار أو المجاملة السطحية.. لماذا لا نفعل ذلك ؟!

صوت الجامعة ٢٦ أبريل ٢٠٠٤

14 الأم والأستاذ

علم بعد عودته من عمله أستاذاً بإحدى جامعات الخليج - أن جارته فى السكن قد اعتقلوها منذ سنوات مضت، اهتزت أوصاله وشعر بقشعريرة الخوف تجتاح بدنه وبدأ يسأل جيرانه عن سبب اعتقال هذه الجارة التى تعمل أستاذه جامعية ولم تكن تقيم بصفة دائمة فى هذا المسكن الريفى الذى يقع على أطراف العاصمة، كان الجيران يجيبون بتحفظ مشوب بالحذر بأنهم لا يعلمون ولكن صاحب المنزل الذى يملك ورشة نجارة تقع أسفل العمارة أخبره بأن رجال الرئيس قد حضروا فى إحدى الليالى وكسروا باب شقتها وأخذوا بعض الأوراق وشحنوا حوائط منزلها بأجهزة التنصت خصوصاً فى حجرة مكتبها وغرفتى النوم والصالة ولما حاول التصدى لهم ألقموه حجرا فى فمه بإبراز هويتهم الأمنية.

كان الحدث مثار نقاش دائم فى السوق ومحلات البقالة والصيدلية والجزار وعيادات الأطباء المتناثرة على طول الطريق الزراعى، الجميع كانوا يتساءلون عن هوية هذه الأستاذة التى تملك الجرأة على معارضة الحكومة إلى الحد الذى يعتقلونها من أجله.. وبعد مائة يوم نشرت الصحف نبأ الإفراج عنها، وتدفق الأهالى على منزلها يقدمون التهانى ويعبرون عن فرحتهم بخروجها سالمة من السجن وكان قد فوجئ الأهالى بالصيدلى والجزار يوزعان الشربات ولما استفسروا عن المناسبة أخبراهم بأن الأستاذة قد أفرج عنها وكانوا يشيرون إلى صورتها المنشورة فى الصحف الصباحية .. قرر الجار أن ينتظر لمدة يومين قبل أن يزور جارته ويعرفها

بنفسه ويعبر لها عن إعجابه بكفاحها وصلابتها، استقبلته بترحاب ملحوظ ودعته لتناول فنجان الشاى مع والدتها التى قبل يدها بتأثر بالغ وبدأ على الفور حديثه المشحون بالشجن مستعيدا ذكرياته البعيدة عندما كان معيدا بإحدى الكليات العملية وتصادف وجوده بحجرة العميد لإنهاء إجراءات مناقشة رسالة الماجستير فشهد الفصل الأخير من تدبير جريمة سرقة بعض الكيماويات النادرة من المعمل وإلصاق التهمة بإحدى الأستاذات وكانت تشرف على رسالته وقد تطورت الأمور واستدعى للشهادة أمام المحقق وعاش ممزقاً بين ضميره الذى لا يكف عن تذكيره بشهادة الحق ومصاحه التى سوف تضار فيما لو قال الحقيقة وشهد ضد العميد وظل ساهرا ثلاث ليال دون نوم أو طعام وأصابه الشحوب وقرر أن يستفتى أمه التى ترملت وهى شابة وقامت بتربية خمسة أبناء وبنات كان هو أصغرهم أخبرته أمه بأن يرعى مصلحته ولا يشهد ضد رئيسه، وذكرته بتضحياتها وبكت بحرقة وتوسلت إليه أن يسمع نصيحتها وقد كان وذهب فى اليوم التالى وأدلى بشهادة الزور ضد أستاذته التى تمكنت من إثبات براءتها من خلال شهادة الساعى الأمين الذى كان يحتفظ بمفتاح المعمل وقد أدين العميد ومساعدوه من صغار الموظفين وظل هذا الموقف شبحاً يطارد هذا الجار فى اليقظة والمنام وكان يتحاشى رؤية هذه الأستاذة التى اعتذرت عن عدم مناقشة رسالته وتعطل عامين كاملين بسبب إحالة الإشراف إلى أستاذ آخر كان يعامله بكل الاحتقار وعدم الثقة ثم تعثر فى قصة حبه لزميلته بسبب عجزه عن التقدم لها ومساندتها فى مواجهة معارضة أهلها لزواجها منه، خسر الحبيبة بعد أن خسر أستاذته يوم أن زيف شهادته إيثاراً للسلامة التى صورتها له نصائح أمه.. ومنذ ذلك اليوم وهو يقدس أصحاب المبادئ القادرين على تحويلها إلى مواقف ولذلك جاء كى يحيى الأم التى ربت وغرست الشجاعة، ويهنئ الابنة التى استجابت ولم تخيب الظنون.

صوت الجامعة ٢٢/ ١١/ ٢٠٠٤

15 الديمقراطية الضرورة الغائبة في الجامعات

يكثر رؤساء الجامعات المصرية من الحديث عن دور الجامعات فى تعميق الديمقراطية والدفاع عن حقوق الإنسان ولا يوضحون لنا كيف يتحقق ذلك فى ظل الأوضاع التعليمية والإدارية الراهنة داخل هذه الجامعات حيث لا تزال العملية التعليمية أسيرة الأساليب التقليدية التي تعتمد على التلقين وللمذكرات المبتورة المشوهة والمقتبسة من كتب ودراسات كبار الأساتذة والتي تجاوزت أغلبها العمر الافتراضى وأصبحت تقتصر على تاريخ العلم فى مختلف التخصصات ولم تعد تواكب المستجدات العلمية الحديثة أو ما يتعلق بنظم الامتحانات الروتينية التي تحرص على تحنيط عقول الطلاب فى قوالب سطحية ولا تستهدف قياس قدرتهم على التحليل أو تكوين وجهات نظر بل تقف عند حدود قياس قدرتهم على التذكر التى تشغل أسفل سلم القدرات الذهنية والنفسية علاوة على قصر الفترة الزمنية لفصل الدراسى التي تتخللها الأجازات القومية والدينية مما يحول دون حصول الطلاب على الجرعة المعرفية الكافية.

أما ما يتعلق بعلاقة الطلاب بأساتذتهم الذين أصبحوا يلهثون خلف الدراهم الضئيلة التي يتلقفوها من الجامعات الخاصة أو الدروس الخصوصية لسد النقص الفادح والمشين فى مرتباتهم الهزيلة ولذلك لم يعد لديهم الوقت أو الطاقة الذهنية لمتابعة التطورات المتسارعة فى تخصصاتهم فضلاً عن القصور الشديد الذى تعانى منه المكتبات الجامعية سواء فى الدوريات العلمية الحديثة أو الكتب والمراجع

الأجنبية ولذلك يضطر أغلب أعضاء هيئة التدريس من الأجيال الجديدة إلى إعادة إنتاج الأساتذة الذين سبقوهم فى مجال التخصص مع بعض التغييرات الطفيفة فى الصياغات للحصول على الترقيات الأمر الذى أدى إلى غياب الاجتهاد فضلا عن الإبداع العلمى وفيما يتعلق بالنشاط الثقافى والاجتماعى للطلاب لا تزال الحركة الطلابية أسيرة اللائحة العجيبة التي حرصت السلطات الحاكمة على فرضها لتحجيم النشاط السياسى للطلاب وأعنى بها لائحة ١٩٧٩ التي تحصر النشاط الطلابى فى الجوالة والرحلات والأنشطة الترفيهية فى ظل وصاية الأساتذة ورقابة أجهزة الأمن الصارمة مما أدى إلى ظهور أجيال جديدة لا تعرف شيئا عن تاريخ الأوطان ولا القضايا المصيرية التي تتحكم فى مستقبل هؤلاء الطلاب بعد تخرجهم من الجامعة وصارت أهم فترة فى أعمارهم تتبدد هباء فى أنشطة هامشية ضحلة لا تعينهم على اكتساب الحد الأدني الضرورى من المعرفة أو الثقافة العصرية ولا تتيح لهم التزود بالمهارات اللازمة فى ظل التنافس الصحى والاقتراب العلمى الصحيح من المشاكل والتحديات المحلية والعالمية التي تفرضها عليهم ظروف العصر وفيما يتعلق بالبحث العلمى بالجامعات فهو لا ينال سوى أدنى الميزانيات بسبب إهدار معظم الميزانيات الجامعية فى الاحتفالات المظهرية ولا يبقى للبحث والتطوير سوى فتات الموائد التى لا تغنى ولا تساعد على إجراء أى مستوى بدائى من البحوث العلمية.

وفيما يتعلق باختيار القيادات الجامعية بدءاً بمنصب رئيس القسم ووكلاء الكليات وعمدائها غالباً ما تفاجئ بأسماء وشخصيات لا يشير تاريخها العلمى إلى أية إسهام حقيقى فى تطوير التعليم الجامعى أو الثقافة العلمية بل يؤكد حقيقة واحدة هى اقتراب معظم هؤلاء القيادات من دائرة صناع القرار بما يشيع روح

الشللية والنفاق ويقضى تماما على معايير الكفاءة والنزاهة والانتماء الأصيل للجامعة وتراثها العلمى والأخلاقى.

والسؤال الذى يطرح نفسه بإلحاح هل هذا المناخ السائد فى الجامعات المصرية حاليا يساعد بالفعل على تعميق الديمقراطية وإرساء حقوق الإنسان وما المقصود بحقوق الإنسان هل هى الحقوق المهنية للأساتذة أم حقوق الطلاب أم حقوق المواطن العادى وما هى منظومة حقوق الإنسان فى أذهان هؤلاء القيادات لقد تمنيت أن يترجم السادة رؤساء الجامعات المصرية هذه التصريحات الوردية المتفائلة إلى سياسات وبرامج تنفيذية حقيقية وفعالة بل توقعت أنهم سوف يوضحون لنا الأساليب والآليات الكفيلة بتحقيق هذه الأمنيات الغالية كى يسهموا حقا فى إزالة الغمة التي تخيم على جامعاتنا العريقة.

صوت الجامعة ٢ نوفمبر ٢٠٠٤

16 مرافقة الزوجة

ماذا يعنى مصطلح مرافقة الزوجة فى العرف الوظيفى وما تأثيره على التعليم الجامعى؟ يعنى أن يقدم عضو هيئة التدريس خصوصاً الحاصل على الدكتوراة حديثاً إلى الجهات الجامعية المختصة عقد صحيح أو مزور يفيد أن الزوجة تعمل فى إحدى دول النفط كى يسمح له بمرافقتها والسفر خارج الوطن لمدة غير محددة أى لا نهائية قد تمتد إلى نهاية العمر الوظيفى ويترتب على هذا العقد العجيب آثار إيجابية بصورة مطلقة بالنسبة للزوج وأسرته إذ يتمكن من تسديد ديونه وتجديد منزله وشراء سيارة وادخار رصيد فى البنك هذا إذا لم تزد إقامته فى دول النفط عن بضع سنوات لا تزيد عن أصابع اليد الواحدة. أما إذا استمرا البقاء واستعذب مضاعفة مدخراته عملا بالمأثور الشعبى الشائع والذى يردده معظم الأساتذة الذين سبق إعارتهم «البحر يحب الزيادة» و«فيه حد يقول للفلوس لأه» فإنه حينئذ يفضل البقاء حتى ينجب العدد الوفير من الأطفال بل حتى ينتهى هؤلاء الأطفال من دراستهم الجامعية ويستعدون للزواج وتكوين أسر جديدة، ومن أهم الأسباب التى تجعل عضو هيئة التدريس يستمرئ هذا الوضع قلة الأعباء العلمية المنوط به أدائها والاسترخاء العقلى بسبب الابتعاد عن مناخ المنافسة العلمية المزعج الذى يفرض عليه لو استمر فى كليته الأم إذ عليه أن يقوم حينذاك بإجراء أبحاث جديدة وأن يستعد للترقية للحصول على درجات علمية أعلى ولكنه فى ظل المناخ النفطى يكتفى بتدريس كتب زملائه الصامدين فى أرض الوطن ولا يضيره أن يقوم بتدريس عدة مواد لا تدخل فى نطاق تخصصه الأساسى ويتحول بالتدريج إلى

خوجه لا يهتم بمتابعة التطورات العلمية التى تطرأ على التخصص ويرفض الاشتراك فى أية مؤتمرات علمية أجنبية أو محلية توفيراً للمال والطاقة والوقت الذى يحرص على استثماره فى تدبيج كتب ومذكرات مستقاه من جهد زملائه المكدودين فى جامعاتهم الأم ويربح من ورائها عدة آلاف من الدراهم تتيح له فرصة شراء أراضى وعقارات جديدة تحقق له الأمان المفقود وهكذا ينزلق تدريجياً وبلا وعى إلى الحلقة الجهنمية حيث تتضاءل قدراته العلمية والبحثية فى ذات الوقت الذى يتضاعف رصيده فى البنك ويتعود أبناؤه على نمط استهلاكى من الصعب توفيره لهم فى أرض الوطن وتتباعد علاقاته الاجتماعية بزملائه فى الكلية كما تصاب علاقاته بأهله وذويه بالوهن وإن كان أحياناً لا يبخل عليهم ببعض الهدايا لزوم استيفاء الجوانب المظهرية.

وعلى الجانب الآخر تبرز الجوانب السلبية لهذه الورقة اللعينة المسماة بعقد عمل الزوجة فى الخارج وأولى ضحاياها هم طلاب العلم والأقسام العلمية التى تتحول إلى هياكل خاوية بعد أن يهجرها أبناؤها سعياً وراء الرزق أحياناً وإشباعا للأطماع امادية التى لا تقف عند حد فى أغلب الأحيان وإذا كانت الجامعات تنفق آلاف الجنيهات بل الملايين لإعداد الكوادر العلمية أملاً فى أن تجنى الثمار فيردوا لها جزءاً من الدين وحق الرعاية والتربية من خلال إسهامهم فى تكوين أجيال جديدة من الكوادر العلمية إلا أن الثغرات القانونية، وضآلة المرتبات الجامعية تشجع هؤلاء الأبناء على أن يضربوا عرض الحائط بهذه الأصوليات الأخلاقية الأساسية ولا ينصتوا إلا لصوت مصالحهم الشخصية الضيقة ولتذهب الجامعة وحقوقها على أبنائها إلى الجحيم والسؤال أين الخطأ هل يكمن فى القوانين فقط أم فى فشل الجامعات فى تربية كوادرها وأغنائهم عن الحاجة لدول النفط أم فى طبيعة المرحلة التى تشهد انهيارا مفجعاً فى جميع المواقع أم كل هذه الأسباب مجتمعة.

صوت الجامعة ٣٠ نوفمبر ٢٠٠٤

17 أستاذ مخضرم يتحدث

كان الأستاذ الجامعى المخضرم يقف فى إحدى ساحات الكلية مع بعض تلاميذه وكان من بينهم زميلة له عرفت بمواقفها الجريئة وآرائها النقدية منذ كانت طالبة تتلقى العلم على يديه ودارت الحوارات حول أوضاع الجامعة والأجيال المختلفة التى عاصرها هذا الأستاذ منذ خمسينيات القرن الماضى تحدث الأستاذ وأفاض عن الفروق الأخلاقية والعلمية بين هذه الأجيال قال : كان الأستاذ يعرف طلابه بالاسم والموطن والظروف الاجتماعية وكان هؤلاء الطلاب شغوفين بالعلم والمعرفة حقا وكان البارزين منهم يجمعون بين عدة مواهب فهم يناقشون أساتذتهم فى المدرجات ويترددون بانتظام على المكتبة ويشاركون فى المظاهرات ويعيش بعضهم قصص غرامية مع زميلاتهم وكانت غالبا تنتهى بالزواج كما كانوا يحرصون على حضور الحفلات الموسيقية والندوات الثقافية والأدبية ناهيك عن الطلاب الرياضيين الذين برز منهم أبطال دوليون وكان نادرا وجود الطالب الذى يمتلك سيارة بل كان الجميع أساتذة وطلابا يستخدمون المواصلات العامة فقد كانت فى حالة ممتازة ومتاحة فى جميع ساعات النهار والليل وكنت ألتقى بالعديد منهم فى المسرح ودار الأوبرا ودور السينما فى وسط المدينة ولم أكن الحظ مطلقا وجود فروق فى المستويات الاجتماعية وكانت الطالبات سافرات الرأس وكن يشاركن بهمة ونشاط فى جميع الأنشطة الرياضية والثقافية وبعضهن كن يقدن المظاهرات وفى يوم من الأيام جاءنى طالب يغلب على مظهره التواضع الشديد وقد اعتقدت حينذاك

أنه جاءنى كى يطلب منى مساعدته للحصول على فرصة من الكلية أو مساعدة مالية لدفع نفقاته الدراسية ولكننى فوجئت به يطلب نصيحتى فى مسألة حساسة تتعلق بضميره الذى يؤرقه لأنه يتعرض لمطاردة بعض الجهات الأمنية التى تحاول تجنيده للتجسس على أساتذته وزملائه ورغم الإغراءات التى عرضوها عليه والتى كان فى أشد الحاجة إليها إلا أنه أبى بشدة أن يقوم بهذا الدور ونصحته يومها أن يثبت على موقفه ولا يستسلم حرصا على تماسكه الأخلاقى وبشرته بأن المستقبل أمامه وسوف يعوضه كثيراً.

وبعد عدة سنوات زارنى هذا الطالب وقد تحسن مظهره وأخبرنى أنه قد التحق بعد تخرجه بوزارة الخارجية ثم توالت السنوات وأصبح سفيراً لامعاً.

التقطت الأستاذة الخيط من أستاذها المخضرم وبادرته بالسؤال عن رأيه فيما يحدث اليوم فى الجامعات وأشارت إلى إحدى الإعلانات المعلقة عن نشاط الأسر الطلابية وكانت تدعو إلى المشاركة فى مسابقة عن أغانى المطربين الجدد ثم لمحت أحد صغار الشبان الذين تربوا فى دول النفط مع والده المعار لسنوات طويلة وقاده طموحه إلى ارتكاب بعض السرقات العلمية وحوكم وفصل من الجامعة ثم عاد إليها من الباب الخلفى عبر ما يسمى بالجامعات الخاصة نظر إليه الأستاذ المخضرم وعلق قائلا: «أنتم تزرعون هنا وهم يحصدون هناك لقد جرت مياه كثيرة لوثت فضاء الجامعات المصرية وغرست فى أرضها الطيبة كثير من البذور السامة وسوف يمضى وقت طويل حتى تتمكنوا من تطهير أرضها الطاهرة وتعيدوا لها تألقها وقداستها» انتهى كلام الأستاذ ولف الجميع صمت عميق.

صوت الجامعة ١٥ مارس ٢٠٠٥

18 الأمن في الجامعة

تعالت أصوات أعضاء حزب الشجرة بالنادى الأهلى أنهم مجموعة من الشباب الذين تجاوزوا سن السبعين عاما ويضمون أحياناً عدداً قليلا لم يتجاوزوا بعد سن الخمسين، ويواظبون على الحضور يومياً من الساعة التاسعة صباحاً حتى الساعة الثانية والنصف ثم ينصرفون تباعاً عندما يأتى أولادهم أو السواقون أو المسئولين عنهم من الخدم لاصطحابهم إلى منازلهم، تبدأ هذه المجموعة يومها بقراءة الصحف واحتساء القهوة أو القرفة وعندما يكتمل عقدهم فى الساعة الحادية عشر تبدأ أحاديثهم همساً ثم تعلو أصواتهم تدريجيا، وفى الساعة الواحدة تقريباً تسخن المناقشات ويتحول الهمس الصباحى إلى ضجيج وتتناثر الكلمات ذات الإيقاع الحاد وتصل إلى أسماع جيرانهم من أعضاء وعضوات النادى الذين يجاورونهم فى الحديقة.

ولعل أغرب ما سمعت من أحاديثهم التى كانت تخترق أذانى تحرمني من التركيز فى القراءة أو الاستمتاع بمتابعة ألوان الأشجار الورود ذلك الحوار الذى دار بين أحد رؤساء الجامعات السابقين وأحد ضباط الشرطة المحالين إلى التقاعد قال رئيس الجامعة الأسبق مدافعاً عن نفسه : «لقد كنت أؤدى واجبى بأمانة وكان من المستحيل أن أبلغ المسئولين بالتفاصيل التى كنت تعتبر بصورة ما حقائق عن الطلبة المشاغبين الذين كانوا يهددون أمن النظام، (أنت كنت تعتبرهم مظلومين وأبرياء وكنت تمتنع عن كتابة تقارير ضدهم) ، انبرئ ضابط الشرطة مدافعا عن

نفسه قائلا: هل نسيت أننى قمت بتسليم مجموعة الطلبة الذين أحضروهم من كليات الطب والصيدلة والآداب والزراعة وأحضرت شحنة من قرن الغزال وقمت بتدريبهم على استخدامها ضد زملائهم من الناصريين والشيوعيين وكنت أراعى جميع التعليمات الصادرة من رؤسائى فى الوزارة «يقصد الداخلية» بمنتهى الأمانة والالتزام فماذا كان مصيرى، اتهمونى بأننى منحاز للطلبة المتهمين بالشغب، وذلك بناء على التقرير الذى كتبته ضدى. عندئذ ثار رئيس الجامعة وصاح بصوت مرتفع «هل كنت تظن أن أخون مسئولياتى وأضحى بالكرسى علشان عيونك» تدخل محام سابق لفك الاشتباك وتهدئة الخواطر وطلب لهم أكواب من الينسون والليمون هدأت الزوبعة ثم استأنفوا الحديث قال ضابط الشرطة: عموما أنا كنت سعيد جداً عندما نقلونى من الجامعة إلى المسطحات المائية وكانت المشكلة هى اقتناء مجموعة من المايوهات لى وللأصدقاء الذين كانوا يتوافدون لزيارتى وعندما يسألون عنى الحارس أمين مكتبى كان يشير لهم على النيل، حيث كنت أستمتع بالسباحة محاولاً أن أنسى تلك الفترة العصيبة فى نهاية السبعينيات والتى أحمد الله أنها انتهت بخيرها وشرها، وأنا الآن أكتب رواية وأحلم بأن يوافق عادل إمام أو نور الشريف لإخراجها فى فيلم .. ضحك المجتمعون وقالوا له: «المهم إنك تطلعها الأول كرواية وبعدين يحلها ربنا».

صوت الجامعة ٢٣/ ١/ ٢٠٠٦

19 أزمة الحب في الجامعة

عبر عشرات القصص وحكايات الحب التى عاصرتها بين طلابى وطالباتى على مدى ثلاثين عاماً تكونت فى ذاكرتى بانوراما كاملة عن أسباب الإحباط والفشل العاطفى التى يعانى منها الشباب الجامعى وترجع فى مجملها إلى التنشئة الاجتماعية والجنسية الخاطئة التى يتوارثها الآباء والأمهات عن أجدادهم ثم يورثوها لأبنائهم وبناتهم، تلك التنشئة التى تسعى إلى إسدال ستار كثيف من التكتم على الحقائق الجوهرية التى تشكل عصب الحياة الأسرية وتكمن بداخلها كل بذور السعادة أو التعاسة والنجاح أو الفشل ويؤدى إغفال هذه الحقائق إلى خلق قصور بنيوى فى وعى وإدراك الأجيال الجديدة مما يدفعهم إلى التخبط والارتباك والرغبة فى المغامرة لاكتشاف المجهول ومن ثم الدخول فى متاهات ذات بدايات براقة ومبهرة ونهايات مظلمة تغلفها الكآبة واليأس والانكسار النفسى والهزيمة الوجدانية التى تجبر هؤلاء الشباب على العودة إلى الموروثات التقليدية التى تزخر بكم هائل من القيم المغلوطة والمحظورات التى تفتح الأبواب أمام المزيد من القهر والحرمان والانغلاق النفسى والضمور الإنسانى لدى الأغلبية العظمى من الشباب كما تدفع الكثيرين منهم إلى الانحراف والازدواجية فى الفكر والسلوك الذى يتجلى فى العديد من التشوهات النفسية والاضطرابات العقلية والسلوكية.

وقد تأملت هذه المشكلات وعايشتها وتابعت تداعياتها المأساوية، فكم من الطاقات الإبداعية قد أهدرت وكم من الشباب الواعد والشابات الواعدات قد

أخطأوا الطريق الصحيح بسبب إخفاقهم فى تجارب الحب والتواصل الإنسانى مع الجنس الآخر.

ومن حصيلة الآراء والتأملات أستطيع أن أقول إن الأسرة المصرية لا تزال تعيش داخل حلقات مغلقة يحكمها الخوف من المعرفة لأن المعرفة الحقيقية تؤدى إلى خلخلة الثقافة السائدة والتقاليد الراسخة التى تكلست وأصبحت لها سطوة وقدسية وتحصنت خلف تفسيرات دينية خاطئة ومغرضة فالأم والأب يحرمون أطفالهم من معرفة الإجابات الصحيحة على الأسئلة المشروعة ويلجأ الأطفال إلى المصادر الأخرى التى تزودهم بالإجابات التى تقودهم إلى الخطيئة دون أن يدروا ويتباهى الأهل بجهل بناتهم وأبنائهم فلا يهتموا بتوعيتهم وتنويرهم وتزويدهم بحقائق الحياة العاطفية والجنسية توهماً منهم أن ذلك يقع فى دائرة العيب ثم تأتى المدرسة كى تكرس هذه الأوضاع الخاطئة فلا تحفل بتزويد التلاميذ بالمعلومات الأساسية عن دورة الحياة والعلاقات السوية بين الجنسين ويكبر الصغار ويذهبون إلى الجامعات ويتفوقون فى العلم ولكن يظل هناك ركناً خاوياً داخل عقولهم ونفوسهم عن كيفية الاقتراب الصحيح من الجنس الآخر وتظل صورة الفتى فى ذهن الفتاة متأثرة بصورة الأب كما تظل صورة الفتاة فى ذهن الفتى متأثرة بصورة الأم المستكينة الصابرة أو التى تتحايل على ظروفها القهرية بشتى أساليب الدهاء الأنثوى وعندما يحدث الاقتراب بين الفتى والفتاة فى رحاب الجامعة يظل كل طرف محتفظاً بداخله بمخزون الخبرة الطفولية الخائبة التى اكتسبها من مرحلة الطفولة فى الأسرة ومرحلة المراهقة مع رفاق الدراسة.

ويؤسفنى أن نظم التعليم الجامعى لا تزال قاصرة ومقصرة فى حق هؤلاء الشباب إذ تحصرهم داخل قوالب حجرية يقتاتون فتات المعرفة من المذكرات

الضحلة والمراجع العتيقة وتحاصرهم بآلاف المحرمات والمحظورات فلا يجدون وقتاً لممارسة الحب بصورته الصحيحة السوية أو اكتساب المعرفة الحقيقية من مصادرها المتنوعة أو ممارسة الفكر الخلاق من خلال الأنشطة التى تشحذ طاقاتهم، ويتعلمون من خلالها كيف يتفقون ويختلفون ويحترمون الذين يختلفون معهم ومن خلال هذا الخضم الزاخر بالحيوية والحرية يتعلم الاختيار الصحيح فيحسنون اختيار الرفاق والرفيقات والمواقف والآراء ويسعون لاكتشاف مفاتيح البهجة الحقيقية بهجة المعرفة وبهجة الحب وبهجة الحياة.

صوت الجامعة ٢ يناير ٢٠٠٦

okerikan.com

20 أكثر الأمور مدعاة للحزن

النصب صورة من صور الفساد بل يعتبر البذرة الأولى للفساد والإفساد ويقال إن النصب أقدم مهارة تاريخية اكتسبها ومارسها الإنسان للتحايل بطريقة خاطئة على التحديات والعقبات التى تفرضها الظروف وتحول بينه وبين تحقيق طموحاته المشروعة والتى تتحول فى أحيان كثيرة إلى أطماع غير مشروعة، وبمرور السنوات وتوالى الأزمنة وتراكم الخبرة الإنسانية ومع تنوع الأنشطة البشرية وتعدد فنون الحياة أصبح للنصب قواعد وأصول كما تدرجت مستوياته وتراوحت ما بين الفهلوة والأكاذيب البيضاء والرمادية مروراً بالانتهاكات أو المخالفات المكشوفة والتى لا تصل إلى حد التجريم وانتهاء بالممارسات الإجرامية المدروسة، وتظهر بوادر النصب فى سن مبكرة عندما يحاول الطفل أن يخفى كسله فى أداء واجباته المدرسية بادعاءات وأكاذيب صغيرة مفضوحة أو يحاول استغلال طيبة وتلقائية بعض زملائه يستلف منهم بعض الأدوات المدرسية أو الملابس الرياضية ولا يردها مدعيا أنها ضاعت أو سرقت وقد يستلف منهم بعض النقود ولا يردها وبطلب منهم أن يعزموه على الكانتين ولا يرد لهم العزومة وهكذا تنمو بذور النصب فى داخله ثم تتحول تدريجيا إلى جزء من سلوكه اليومى. وعندما نستقرئ الواقع حولنا تصادفنا عشرات الحالات والأمثلة مثلاً الطالب الجامعى الذى لا يواظب على محاضراته ويختلس جهد زملائه الملتزمين بينما يمضى وقته فى اللهو والصعلكة والمغامرات الفاشلة والموظف الإدارى الذى لا يترك سجادة الصلاة ويحمل فوق

جبهته الحبة السوداء دليل التقوى ولا يتوقف طوال اليوم عن استلام الرشاوى وإدراجها فى كشوف البركة، والطبيب الذى يخون قسم أبيقراط ويلقى خلف ظهره جميع الأعراف الإنسانية التى أرستها هذه المهنة النبيلة ويستغل جهل المرضى وثقتهم فيه ويشارك فى سرقة بعض أعضائهم البشرية أو يوصى بضرورة إجراء عمليات جراحية عاجلة وهى فى الواقع غير ضرورية ويتقاضى عنها عدة آلاف من الجنيهات يقتطعها أهل المريض من أجسادهم الحية، أما النصب فى مجال البحث العلمى فقد اتسعت رقعته وتنوعت أساليبه ولم تعد تقتصر على الباحث الذى يقتبس المعلومات والأفكار من كتب وجهد السابقين دون أن يشير إليهم بل أصبحنا نرى بعض أشباه الأكاديميين الذين برعوا فى مجال النصب والفساد وأصبحوا مثلاً يحتذى لدى ضعفاء النفوس من الأجيال الجديدة هؤلاء يتدثرون بأثواب كهنوتية ظاهرها الترفع الأجوف وباطنها الخداع والشراهة والأنانية والخواء العلمى هؤلاء السادة يمارسون أخس وأدنأ أشكال النصب والفساد والتى تتمثل فى التعاملات المريبة مع هؤلاء المتعطشين للدرجات العلمية وليس المعرفة العلمية، بعضهم جاء من دول النفط فيما ينتمى الآخرون إلى الأثرياء الجدد الطامعين فى استكمال الثروة باللقب العلمى، يأتون وجيوبهم مكتنزة بالعملات المشبوهة المصدر وترتفع فوق أكتافهم رؤوس خاوية ونفوس نهمة تفتقر إلى الرهافة الفكرية والنفسية، ولعل أكثر الأمور مدعاه للحزن عندما يقوم هؤلاء الأباطرة النصابون من ذوى المناصب الأكاديمية بتكليف صغار المعيدين والمدرسين المساعدين بجمع المادة العلمية لرسائل الماجستير والدكتوراه الخاصة بهم.

والتى يتم منح درجاتها العلمية دون حق لهؤلاء النفطيين وسواهم مقابل حفنة من الدراهم حقاً هناك مهنتان إذا أصابهم العطب وإذا أصيبوا فى جوهر رسالتهم

انتكس المجتمع إلى غير رجعة والمهنتان المعنيتان هما التعليم المنوط به تشكيل وتربية العقل والضمير الجمعى، والطب الذى يتكفل بمداوة الأجساد والنفوس عندما يداهما المرض ولقد نجح أباطرة النصب والفساد فى اختراق عقل وجسد المجتمع ولا عزاء للشرفاء.

صوت الجامعة – ٦ مارس ٢٠٠٦

obeikan.com

21 || التقية وفساد القيم

احتدمت المناقشة بين الأستاذة وأحد تلاميذها عقب اتهامه بتزوير أقواله فى واقعة كان أحد أطرافها وذلك للإفلات من العقوبة التى كانت تنتظره فيما لو قال الحقيقة، كان مهدداً بالفصل من وظيفته الجامعية لأنه كان الشاهد الوحيد فى حادث يمس الشرف ارتكبه أحد رؤسائه بمعاونة بعض ضعاف النفوس، التف حوله زملاؤه وطالبوه بأن يقول الحقيقة ويشهد بما رأى إنصافاً لضميره وإحقاقاً للحق، وتكتل المغرضون وحاصروه بالإغراءات الرخيصة وخيروه بين الاستمرار فى عمله والتمتع بالمزايا العديدة التى يحظون بها مستندين إلى أن غض الطرف عن المخالفات الجسيمة والانتهاكات الفجة التى تحيط بهم هو السبيل الوحيد لضمان مستقبله وإلا فإن المصير الذى ينتظره الطرد من الوظيفة والتشرد له ولأسرته الفقيرة.. ظل مؤرقاً عدة ليالى.. نصحته أمه بأن يقول الحقيقة والرزق على الله.. ونصحه شقيقه الأصغر «بالمهاينة وأن يمشّى حاله» لأن البلد أصبحت بحيرة من الفساد والجامعة جزء من البلد وقد طالتها أمواج الفساد والترهل وختم نصيحته بأنه لن يستطيع أن يصلح الكون وحده خصوصاً وأن فصله من العمل يعنى أن والدته المريضة لن تجد العلاج وشقيقته التى تستعد للزواج سوف تظل عانساً وعالة على الأسرة، وأن قول الحقيقة لن يضر رئيسه لأن الرؤساء يجاملون بعضهم بعضاً، ولن ينصفوه أو يقدروا نزاهته.. وقد جاء إلى أستاذته كى يستشيرها ماذا يفعل .. قالت له: إننى لم أعلمك سوى الصدق والصراحة ومواجهة الظلم والفساد بكل ما تملك من إرادة وضمير

لأن التسامح مع المفسدين يشجعهم على استضعافنا وفقدان أعز ما نملك .. «الضمير اليقظ» الواعى الذى يشحذ قدراتنا ويشد عزائمنا فى مواجهة طوفان الفساد، فساد النفوس والعقول والاستسلام أمام هؤلاء هو الخطوة الأولى للدمار، دمار شخصيتك واحترامك لنفسك والهوان فى أعين محبيك وأهلك وزملائك، واعلم أن كنوز الدنيا لن تحميك من احتقار الذات والإحساس بالعار أمام الآخرين.

قال الشاب منفعلاً: ولكن هناك شيئا اسمه التقية وعلينا أن نحمى أنفسنا عندما يكون الموج عالياً ولن نستطيع دفعه بسواعدنا الضعيفة.. ردت عليه فى حدة: إن لضعف يكمن فى النفوس وعندما تتسلح النفس بالنزاهة والوعى تشتد السواعد وتقوى في مواجهة المحن، ونحن كمصريين نواجه حالياً محنة كبرى تتجسد فى فساد لنفوس وشيوع ثقافة الفساد والسكوت عن قول الحق ومحاربته وتفعيله، وأمامك طريقان وعليك أن تختار، وتاريخنا ملىء بالعبر والعظات، هناك الأبطال الذين ستبسلوا دفاعاً عن حقوقهم المشروعة وحقوق وطنهم وقد رفعهم التاريخ إلى مرتبة القداسة وهناك أيضاً الأنذال والانتهازيون والعملاء من ضعاف النفوس وقد لقى بهم التاريخ فى سلة القمامة.

سكت الشاب ولم يعلق ثم خرج من مكتب الأستاذة وقد صمم على أن يرفع هامته ويعلى صوت الحق مهما كان الثمن.

صوت الجامعة ١٧/ ٤/ ٢٠٠٦

22 لم تعلق الأستاذة

خيم الغضب والتوتر على انحاء المدرج وأصاب الطلبة والطالبات صمت عميق مشوب بالحذر والتوجس، وعلت وجوههم علامات الخجل لإحساسهم بالتقصير وارتفع صوت الأستاذة المحاضرة منذراً لهم ولجيلهم بالويل والثبور وعظائم الأمور فهم ينتمون إلى جيل شاءت أقداره أن يأتى فى فترة حالكة من تاريخ العالم حيث لا أمان ولا سلام لهم إلا بالعلم لمواجهة عوامل الإفقار والفساد وهيمنة السوق وسطوة القطب الأمريكى الأوحد ووحشية العدو الصهيونى وخيبة المثقفين وخيانة وتواطؤ صناع القرار وسلبية واستسلام الجموع الصامتة الصبورة.

اعترفت لهم الأستاذة بأنهم ضحايا النظام التعليمى الذى حول التعليم إلى سلعة وحول المعلمين إلى تجار وحول الوزارة إلى هيكل عظمى تثرثر قياداته بشعارات وهمية وتصريحات وردية لتحذير الأهالى وأولياء الأمور.. حدثتهم الأستاذة عن الفرق بين نوعية التعليم والعلم الشكلى المزيف الذى يستقونه من المذكرات الضحلة والكتب المقتبسة المشوهة وبين العلم الحقيقى الذى يعتمد على المراجع والدراسات الجادة والذى تزخر به المكتبات فى الكليات. والجامعات ومراكز البحوث وكى يتمكنون من مفاتيح هذا العلم وأدواته لابد من المشاركة فى الندوات والمؤتمرات وإجراء الأبحاث والمشاركة فى السيمنارات العلمية.. وفجأة ارتفع صوت إحدى الطالبات وكانت تجلس فى المقاعد الخلفية حيث طلبت الاستئذان لها بالتعليق وخرج كلامها متدفقاً كهدير المياه متجاوزاً كل الضوابط التقليدية ومسلطاً

الضوء على جوهر الأزمة قالت الطالبة لماذا تركزون على مسئوليتنا كطلاب ولا تـوجهون اللوم إلى أساتذتنا المسئولين عن رعايتنا وتوجيهنا، أن الأسلوب التعليمى لأغلب المواد التى ندرسها لا يزيد عن كونه امتداداً للنظام التعليمى التلقينى الذى تتحدثون عن جرائمه فى حق جيلنا لقد أجهض الأساتذة أحلامنا بإصرارهم على أن نحفظ ما يجبرونا على استذكاره فى كتبهم ومذكراتهم ومن يتمرد منا ويحاول إضافة معلومات وأفكار من مراجع أخرى لا يحصل سوى على درجة مقبول إذا كان الأستاذ رحيماً بنا وفى أغلب الأحيان يرسب الطالب لأنه تجرأ على ذكر معلومات أو آراء لم يشر إليها الأستاذ فى كتابه ماذا نفعل فى هذه الحالة؟ وهل هذا هو التعليم الجامعى الذى طالما حلمنا به؟ إننى أقترح ضرورة إعداد دورات تثقيفية وتدريبية من المستوى الرفيع لأعضاء هيئة التدريس وإلزامهم بتفعيل الأساليب العصرية فى التدريس والتى تقوم على الحوار وتعددية المراجع والمناقشة والبحوث الحقيقية ولكن للأسف يبدو أن الأساتذة مشغولون بلقمة العيش خصوصاً أن أغلبهم لا يملكون سوى مرتباتهم وهى لا تكفى لتغطية نفقاتهم الأسرية والتزاماتهم العلمية والمهنية.

صمتت الطالبة ولم تعلق الأستاذة.

23 مسألة خطيرة

فاجأتنى المساعدة المنزلية بتساؤل غريب إذ قالت فى استحياء لماذا لا يتحول الطالب المنتسب إلى منتظم إذا كان الفرق نصف درجة؟ وهل من الممكن أن أتوسط لدى الجامعة لتحويل ابنتها من طالبة منتسبة إلى منتظمة لأنها حصلت على الدرجات المطلوبة وينقصها فقط نصف درجة؟ وكانت تعنى بذلك حالة ابنتها الطالبة بالسنة الثانية بكلية الحقوق، فلما أوضحت لها استحالة ذلك لان استثناء ابنتها سوف يؤدى إلى قبول جميع الحالات المماثلة مما سيهدر قانون الجامعة من أساسه تشجعت قليلا وقالت أن هناك طالبة حصلت على درجة ٦ من ٢٠ فى إحدى المواد وقد تدخل والدها التاجر الكبير لدى عميد الكلية فرفع الدرجة إلى ١٦ من ٢٠.

فأفزعنى ما قالته وأكدت لها بصوت منفعل استحالة ذلك وأن هناك شائعات كثيرة منتشرة بين الطلبة ولا أساس لها من الصحة ، ولكننى عندما تأملت الوضع لم أستطع أن أمنع نفسى من الربط بين هذا الحدث وبين ما سمعته من أحد الزملاء ويشغل موقعاً قيادياً فى إحدى الجامعات الخاصة من أن أولياء الأمور لا يكفون من ممارسة ضغوطهم التى تتمثل فى تدخلهم السافر لتعديل درجات أبنائهم لضمان حصولهم على تقديرات تؤهلهم للالتحاق بالوظائف المرموقة فى الشركات الأجنبية.

والواقع أننى لا أدرى متى بدأ ينخر هذا الفيروس اللعين فى جسد التعليم

الجامعى وهل انتقل من الجامعات الخاصة إلى الجامعات الأم؟ أم أن العكس هو الصحيح؟

وعادت ذاكرتى إلى الوراء فى نهاية حقبة الخمسينيات وخلال الستينيات عندما تتلمذنا على أيدى أساتذة أجلاء وعشنا فى ظل نظام تعليم جامعى متماسك كان حريصاً على التقاليد العلمية والقيم الجامعية التى أرساها الرواد الأوائل من لطفى السيد وطه حسين إلى مصطفى مشرفة وأمين الخولى وتذكرت الدرس الأول الذى تلقيناه من د. عز الدين فريد عميد كلية الآداب عند بدء الدراسة الجامعية والذى يتمثل فى قدسية سرية الامتحانات وسرية النتائج وأمانة المجالس العلمية وكيف انقلبت الأوضاع وجاءت أزمنة غبراء تدهورت خلالها الأوضاع التعليمية عموما وأصابت التعليم الجامعى فى مقتل إذ أصبح مستباحا إلى الحد الذى يسمح بتدخل بعض التجار والمقاولين وأثرياء الانفتاح الاقتصادى ولصوص العولمة المنفلتة للتدخل لإفساد أخص خصوصيات العملية التعليمية وإهدار مبدأ التكافؤ وهدم العمود الفقرى للتعليم الجامعى.

لقد بحت أصوات مئات الشرفاء من الأساتذة الجامعيين لإيقاف هذا التدهور، ولكن سطوة المصالح الشخصية الضيقة وغياب الرقابة من جانب القيادات الجامعية سمحت لبعض الضمائر الجامعية بالسقوط فى غيبوبة طويلة فمتى نستيقظ كى تنقذ ما تبقى من عقل وضمير الوطن؟

الأهرام ١٧/ ٨/ ٢٠٠٥

24 بعيون أمريكية

فى إطار متابعتى للمقررات الدراسية فى حقل الصحافة والإعلام (شعبة اللغات الأجنبية) والتى يتم تدريسها فى بعض الجامعات الخاصة المصرية اكتشفت أن حفيدى يدرس المقررات المتخصصة من كتب ومذكرات أعدها أساتذة وباحثون أمريكيون ويقوم بتدريسها أساتذة مصريون، وقد يرى البعض أن هذا أمر طبيعى بل ضرورى، خصوصا فى مواد مثل الإعلام الدولى والصحافة العالمية ونظريات الإعلام وتكنولوجيا الاتصال والتحرير والإخراج الصحفى والإعلان الصحفى والعلاقات العامة ولكن الأمر يختلف عندما يتم تدريس مواد مثل الصحافة العربية أو الصحافة المصرية بالاعتماد على المراجع الأمريكية فحسب دون محاولة الاستعانة بالتراث الأكاديمى الذى قدمته المدرسة المصرية والعربية فى مجال التاريخ لصحافتها عبر ما يزيد على ٧٥ عاماً ولعل أقدمها كتاب قسطاكي عطارة عن الصحافة العربية الصادر فى عشرينيات القرن الماضى عدا عشرات المؤلفات الأخرى التى قدمها باحثون بارزون من مصر والعراق وتونس والمغرب والجزائر واليمن والسودان وليبيا والسعودية ولبنان وسوريا، علاوة على عشرات الرسائل العلمية التى قدمها الباحثون العرب من الأجيال المتوالية وأسسوا بها رؤى علمية شبه متكاملة عن تاريخ الصحافة العربية والقضايا والتحديات المعاصرة التى تواجه الصحافة والصحفيين العرب ونضالهم فى مواجهة الحكومات المحلية ومحاولات الاختراق والهيمنة الأجنبية (الأمريكية والصهيونية بالتحديد).

ولعل أشد ما أثار انزعاجي هو عدم حرص الجامعات الخاصة المصرية على تكليف الأساتذة المنوط بهم تدريس هذه المواد ذات الطابع القومي والوطني بإعداد مقررات دراسية مستقاة من التراث الأكاديمي المصري والعربي وترجمته إلى اللغة الإنجليزية لتخريج كوادر إعلامية تستوعب تاريخ أوطانها وفي قلبها الصحافة والإعلام برؤى واجتهادات عربية ذات توجه صحيح يساعدها على ترسيخ انتمائها من خلال توعيتها بالحقائق التاريخية غير الملونة بالمصالح والأغراض الأجنبية بدلا من استقطاب عقول ووجدان الشباب وهم في سن التكوين لمصلحة توجهات ورؤى أجنبية لا تسعى ولا تحرص على فهم تاريخنا وواقعنا الراهن بل تعمل بدأب على ترويج أفكارها تدعيما وتعزيزا لأهدافها التي تتناقض بل تتصادم بالضرورة مع مصالحنا وحقوقنا كشعوب وكأفراد وهو ما تؤكده خبرتنا التاريخية المعاصرة.

لقد عانت الشعوب العربية والإفريقية طويلاً من الانتهاك والتشويه القبيح لتاريخها القومي سواء في مجال النضال السياسي أو الاستقلال الثقافي، وفي إطار حركة التحرر الوطني بدأ جيل الرواد من المفكرين والعلماء في تعريب وتمصير وأفرقة التاريخ الوطني، وفي قلبه التاريخ الثقافي الذي يضم منظومة متميزة في الفن والأدب والصحافة، فكيف نرضى لضمائرنا أن نلقن أبناءنا وأحفادنا تاريخهم بعيون أجنبية؟ وهل تستهدف الجامعات الخاصة المصرية تخريج كوادر إعلامية للعمل خارج الوطن أم تسعى (دون قصد) لتهيئة عقولهم لتفعيل الوجود الأجنبي فكراً وتعليماً توطئة للتعايش والاندماج مع رموزه وأفواجه القادمة؟ أم تسعى هذه الجامعات لإيجاد كوادر إعلامية عولمية ذات ذاكرة وطنية مطموسة ومشوهة تدين بالتبعية والولاء للخارج ولا تملك المعرفة الصحيحة والوعي الوطني والإرادة لتجديد الإعلام العربي واستنهاضه؟!

الأهرام ٢٢ مايو ٢٠٠٨

25 ازدواجية القيم

دخل الأستاذ إلى القاعة منتفخ الأوداج ، مزهوًا بعلمه ، والتفاف الطلاب حوله، وبدأ المحاضرة ببعض المداعبات التي تعود عليها مع طلابه ، ثم انخرط في خطبة حنجورية عن كرامة الوطن وسيادته ومسئوليات الشباب في الحفاظ على منظومة القيم الوطنية والأخلاقية ، ضمانًا لحصولهم على حقوقهم في العطاء ، والمشاركة والإبداع ، ثم ما لبث يحصي العديد من الأمثلة على الفساد الذي جعل الناس يتهاونون في الدفاع عن حقوقهم ، ويبررون عجزهم عن التصدي للسفهاء والمفسدين تارة تحت شعار «الأنانالية» ، وتارة أخرى بالصراخ العصبي، وتارة ثالثة بـ«الانزواء» ، والصمت مع الاستنكار بينهم وبين أنفسهم أو مع المقربين منهم لأشكال الفساد التي أصبحت جزءًا لا يتجزأ من طبائع الأمور لدى الغالبية العظمى من البشر المحيطين بهم، فالدروس الخصوصية التي يجرمها قانون تنظيم الجامعات أصبحت علنية ، بل يتم الاتفاق عليها تحت نافذة رئيس الجامعة ، وفي القاعات المجاورة لمكتبه ، والتعليم المفتوح الذي يدر ملايين الجنيهات لا ندري أين تذهب، وعندما نطالب بحقوقنا في معرفة مصير هذه الملايين يشيحون وجوههم ويتهموننا بأننا مشاغبون ، ونرد عليهم بأنهم متواطئون وعليهم أن يبرأوا ذمتهم ، ويلتزمون بمبدأ الشفافية ، كذلك الإعلانات التي ينشرها بعض الأساتذة في الصحف عن استعدادهم لإعداد رسائل الماجستير والدكتوراه لغير القادرين علميًا ، ولكنهم قادرون ماليًا .. أي عار يمكن أن يلحق بكرامة الجامعة وأساتذتها وهم

يرون أن العلم أصبح سلعة رخيصة تباع جهارًا نهارًا!! هنا صاحت طالبة محجبة في انفعال غير متوقع وقالت : «يا أستاذ كفاك أمثلة مؤسفة ، هناك مستشفى الطلبة الذي يمتلئ بالاختلاسات والإهمال وسوء معاملة الطلاب المرضى ، وهناك المدينة الجامعية مخزن الرشاوي والشللية والانتهاكات العلمية والأخلاقية . إننا لم نعد قادرين على سماع المزيد من المفاسد والمخالفات في الجامعة والمجتمع ، ونحن في حاجة إلى معرفة الحل وماذا نفعل كأساتذة وطلاب ومواطنين؟».

أجاب الأستاذ بهدوء وثبات : «عليكم أن تتحرروا من الخوف الذي يعشش في نفوسكم ، ويشل إرادتكم ، ويغشي عيونكم ، ويسرق منكم رؤية الطريق الصحيح » . انتهت المحاضرة وانضم الأستاذ إلى زملائه في إحدى اللجان التي تقرر تشكيلها للفصل في قضية تسريب الامتحانات من جانب إحدى الطالبات المعتادة على تلقي دروس خصوصية لدى بعض الأساتذة ، التي يشغل والدها موقعًا وظيفيًا سياديًا في المجتمع ، وأعطى الأستاذ صوته لمصلحة الطالبة خوفًا من أبيها الذي سبق أن تسبب في تعطيل ترقيته واضطراره إلى مغادرة الوطن عدة سنوات .. تصوروا !

الأهرام – ٢٠/ ٧/ ٢٠١٠